شَخْصيَّاتٌ مِنَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ(٣٨)

خُزاعِيُّون

عبد الله بن بُديل الخُزاعي

حسن الحاج

لمكانته العظيمة في تاريخه، ولأهميّته في الديانة التوحيديّة، ولما يجسده وجوده من مصالح كبيرة، ومنافع كثيرة، وللوجاهة وعلوّ الشأن والسيادة الاجتماعيّة التي يحظى بها من يُدير شؤونه، ولمنزلته في الأفئدة التي راحت تهوي إليه منذ نشأته الأولى، فقد صار البيت الحرام، الذي باركته السماء، كما نطقت آيات عديدة:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾

وشيدته وطهرته جهود نبيّين كريمين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْماعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ۞ ﴿رَبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ۞ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.[1]

صار لا فقط موضع رغبة واهتمام الناس وتوافدهم عليه، بل صارت ولايته عبر التاريخ مطمع وتنافس كثير منهم، وتسابقهم بل وتنازعهم للهيمنة عليه، وبناء كياناتهم من خلاله..؛ ومنهم قبيلة خُزاعة العريقة في وجودها، والتي نازعت قبيلة جرهم ولايته، ولما انتصرت عليها أجلتها عن مكة، وتولّت البيت الحرام ثلاثمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة حتى انتزعها منها قصي بن كلاب؛ الجد الرابع للنبيِّ محمدﷺ ولم يكتف بذلك، بل أخرج قبائل خُزاعة وكنانة من مكة؛ لتبقى لقبائل قريش دون غيرهم.. وبسبب ولايته البيت الحرام صار له النفوذ الواسع في مكة، فتزعم قبائل قريش، وظلّت له السدانة والسقاية والرفادة والندوة ولواء الحرب...

فخُزاعة إذن ثاني قبيلة تتولى الكعبة ومكة قروناً عديدةً، مما يدلُّ على أنَّ لها لا فقط وجوداً ضارباً في التاريخ، بل لها وجود فاعل ومؤثر في حركته

---

١. انظر الآيات ٩٦ آل عمران؛ ١٢٧ البقرة؛ ٣٧ إبراهيم؛ ١٢٥ البقرة وغيرها من الآيات القرآنية حول هذا البيت المبارك.

الاجتماعية والسياسية والدينية والتجارية، كما الثقافية والأدبية، حتى حظيت بمكانة واسعة ودور مؤثّر بين القبائل العربية في الماضي بل والحاضر أيضاً... واستمر دورها هذا سواء أكانت منتصرةً في قتال، أو كانت خاسرةً فيه، لا يمكن لأحد نكرانه حتى أثمرت في تاريخها عن مواقف وأحلاف، وصحابة وعلماء وأدباء وشعراء و...

وعبد الله بن بُديل هو وأسرته من هذه القبيلة (خزاعة) وهم ذوو مقام شامخ فيها، ثمَّ كانوا كوكبةً مؤمنةً؛ سجلوا تاريخاً مشرقاً في العصر الأول للإسلام، كما يأتينا.

فهو عبد الله (كنيته: أبو علقمة وأبو ربيعة) بن بُديل بن ورقاء الخُزاعي، الذي عرف بأنه "أدهى العرب" بن عمرو بن ربيعة بن عبد العزّى بن ربيعة بن جُزيّ أو جري أو حَزن بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء، أو عبد الله... بن عبد العُزّى بن ربيعة بن جُزَيّ أوحَزن بن عامر بن عبد بن مازن بن عَديّ بن عمرو بن عامر بن لُحيّ بن ربيعة الخُزَاعِيّ.[١]

فهو إذن من قبيلة خُزاعة العربية الأصيلة، بنو عَمْرو بن لُحَيّ المختلف في نسبها؛ فقيل: هي من الأزد، وقيل: هي من مضر...

أما منازلها ففي تهامة؛ غرب شبه الجزيرة العربية، بين أقاليم الحجاز واليمن والبحر الأحمر؛ وتهامة تطلق على مكة أيضاً؛ ولذلك قيل للنبيّ صلى الله عليه وآله: تهاميٌّ؛ لأنه منها.

---

١. الإصابة في معرفة الصحابة ١، رقم ٦١٤ بُديل ..؛ كتاب أسد الغابة، بُديل؛ و جمهرة أنساب العرب: ٢٣٩ وتاريخ بغداد ١: ٢٠٤...

وعمرو بن لحي بن قمعة الخُزاعي، يعدُّ أول من أدخل الأصنام إلى تهامة، إلى البيت الحرام، فبعد عودته من سفرة له إلى الشام، التي استحسن ما وجده فيها من عبادتهم للأوثان، جلب معه واحداً من أصنامهم (هُبَل) وهو مع العقيق الأحمر على صورة إنسان، واختار له جوف الكعبة، ليكون لا فقط أول صنم يُعبد في مكّة بل صار عند مشركي مكة ما أعظمه وما أقدسه، حتى أنّ قريشاً حين أدركته مكسور اليد اليمنى، جعلت له يداً من ذهب! ثمّ توالت الأصنام وكثرت وانتشرت في بقاع العرب، وبين قبائلها التي اتخذت لها أصناماً آلهة، وبنت بيوتاً، فاتسعت ظاهرة عبادتها، فعمرو هذا لم يكتف بهبل، حيث يُذْكَر أنه كان له رئيٌّ من الجن، فأخبره أنّ أصنام قوم نوح ـ ودّاً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً ـ مدفونة بجدّة، فأتاها فاستثارها، ثمّ أوردها إلى تهامة، فلمّا جاء الحج دفعها إلى القبائل، فذهبت بها إلى أوطانها. فأمّا ودٌّ فكانت لكلب، بجَرَش بدَوْمَة الجندل من أرض الشام مما يلي العراق. وأمّا سواع فكانت لهذيل بن مُدْرِكة بمكان يقال له: رُهَاط من أرض الحجاز، من جهة الساحل بقرب مكة. وأمّا يغوث فكانت لبني غُطَيف من بني مراد، بالجرف عند سبأ. وأمّا يعوق فكانت لهمدان في قرية خَيْوان من أرض اليمن، وخيوان: بطن من همدان. وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع في أرض حمير.

وقد اتّخذوا لهذه الطواغيت بيوتاً كانوا يُعَظِّمُونها كتعظيم الكعبة! وكانت لها سدنة وحجاب، وكانت تهدى لها كما يهدى للكعبة، مع اعترافهم بفضل الكعبة عليها فالعرب مع جميع هذه الأصنام وبيوتها وانتشار عبادتها، بقيت تحتفظ بتعظيم الكعبة، حتى راحت كلُّ قبيلة تضع صنماً لها عند الكعبة، فكثرت أصنامهم حولها، وكما يعتقدون أنه من تعظيمهم لها، وأنّهم يتسابقون في إيجاد موضع قدم لهم فيها..

فكان لهذا الرجل الدور الأول والأخطر في سنّ هذه السنّة السيئة ـ وقد تحمل وزرها ـ بين قبائل العرب، الذين كانوا على دين نبيّ الله ابراهيم وابنه

إسماعيل عليه السلام، حين ابتدع الشرك وعبادة الأصنام، وسيب السائبة و بحر البحيرة و وصل الوصيلة و حمى الحام.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لاَ سَائِبَةٍ وَ لاَ وَصِيلَةٍ وَ لاَ حَامٍ وَ لَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لاَيَعْقِلُونَ**﴾، روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أن عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف كان قد ملك مكة، وكان أول من غيّر دين إسماعيل، واتخذ الأصنام، ونصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام..

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار ريح قصبه»، ويروى «يجرّ قصبه في النار».

وأيضاً نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال محدثاً أكثم بن الجون الخُزاعي: «يا أكثم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجرُّ قصبة في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبه برجل به منك ولا بك منه».

فقال أكثم: تخشى أن يضرّني شبهه يارسول الله، أو: أوَ يضرّني شبهه يا رسول الله؟! فقال: «لا، إنك مؤمن وهو كافر، وأنه أول من غيّر دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وسيّب السائبة، وبحر البحيرة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي».[1]

وبقي البيت الحرام بيدها؛ حتى استطاع ـ كما ذكرنا ـ قصي بن كلاب، الذي

---

١. انظر كتاب الأصنام، للكلبي : ٢٧، ٢٨، ٣٤، ٤٣، ٥٤، ٥٥؛ والسيرة النبوية، لابن هشام ١ : ٧٧، ٨٠ ـ ٨٨؛ وأخبار مكة، للأزرقي في العديد من صفحاته: عمرو بن لحي؛ والبداية والنهاية، لابن كثير ٢ : ٢٣٧؛ والمنمق في أخبار قريش، للبغدادي : ٣٢٧ ، ٣٢٨؛ وتفسير الطبري؛ ومجمع البيان، للطبرسي الآية ١٠٣ المائدة، وغيرها من مصادر التاريخ والتفسير.

تزوج حُبَّى بنت حُليل بن حُبشية الخُزاعي، زعيم خُزاعة، وكان يلي الكعبة، انتزاع البيت الحرام منها، بعد أن انتشر ولدُه، وكثر مالُه، وعظم شرفُه، وهلك حُليل بن حُبشيّة؛ لأنه يرى أنّه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزّاعة وبني بكر، وأنَّ قريشاً فرعة إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلم رجلاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه،... قاتل خُزاعة... حتى جلت عن مكة، فمنهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فوليَ قصي البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش، فأنزلهم أبطح مكة، وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة، فقسم منازلهم بينهم، فسمي مجمِّعاً، وله يقول مطرود، وقيل: إنَّ قائله حُذافة بن غانم:

أبوكم قُصيٌّ كان يُدعى مُجمِّعاً به جمع الله ُالقبائل َمن فهر.[1]

حلفُها الأول:

أبت قبيلة خُزاعة ذات التأريخ العريق والمملوء بالأحداث إلاّ أن تسجل في تاريخها الطويل في الجاهلية وفي الإسلام دوراً اجتماعيّاً وسياسياً؛ ومن ذلك حلفها القديم مع بني هاشم؛ والجديد مع رسول الله ﷺ فنصرته ونصرها وكان بنصره إياها

---

١. انظر تاريخ المسعودي؛ مروج الذهب ١: ٢٠٨؛ تاريخ آداب العرب لزيدان ١: ١٨٦؛ تفسير ابن كثير ٢ : ١٠٧؛ الألباني في السلسلة الصحيحة ٤: ٢٤٢ رقم ١٦٧٧؛ وفيها أبو خزاعة عمرو بن عامر" و إني رأيته يجرّ أمعاءه في النار"؛ تاريخ الطبري ١: ٥٠٦ تاريخ ما قبل الهجرة؛ وانظر البداية والنهاية، لابن كثير ٢ : خبر قصي بن كلاب وارتجاعه ولاية البيت إلى قريش وانتزاعه ذلك من خزاعة..

فتح مكة.

وقد ذكروا سبب الحلف الأول أنَّ نوفل بن عبد مناف ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له- وهي الساحات- وكانت أمُّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج، فتنصَّف عبد المطلب عمَّه، فلم ينصفه، فكتب إلى أخواله بني النجار أبيات شعر، منها:

يا طول ليلي لأحزاني وأشغالي

هل من رسول إلى النجار أخوالى

فغاب مطلب في قعر مظلمة

وقام نوفل كي يعدو على مالي

فاستنفروا وامنعوا ضيم ابن أختكم

لا تخذلوه وما أنتم بخذال

فقدم عليه منهم ثمانون راكباً، فأناخوا بفناء الكعبة، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف، قال لهم: أنعموا صباحاً!

فقالوا له: لا نعم صباحُك أيها الرجل! أنصف ابن أختنا من ظلامته، قال: أفعل بالحبّ لكم والكرامة، فردَّ عليه الأركاح وأنصفه.

فانصرفوا عنه إلى بلادهم. فدعا عبد المطلب بسر بن عمرو و ورقاء، و رجالاً من رجالات خزاعة، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً...

وقد ذكروا أيضاً في سبب هذا الحلف أنَّ نفراً من خزاعة قالوا فيما بينهم: والله ما رأينا في هذا الورى أحداً أحسن وجهاً، ولا أتمَّ خلقاً، ولا أعظم حلماً من

عبد المطلب، وقد ظلمه عمُّه، وقد ولدناه كما ولده بنو النجار فلو أنا بذلنا له نصرتنا وحالفناه! فأجمع رأيهم على ذلك فأتوا عبد المطلب فقالوا: يا أبا الحارث! إن كان بنو النجار ولدوك فقد ولدناك، ونحن بعد وأنت متجاورون في الدار، فهلم فلنحالفك! فأجابهم، فأقبل بديل أبو ورقاء بن بديل العدوي، وسفيان بن عمرو، وأبو بشر القميري، وهاجر بن عمير بن عبد العزى القميري، وهاجر بن عبد مناف بن ضاطر، وعبد العزى ابن قطن المصطلقي، وخلف بن أسعد الملحي، وعمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري، في جماعة من قومهم، فدخلوا دار الندوة فكتبوا بينهم كتاباً، وأقبل عبد المطلب في سبعة نفر من بني المطلب، والأرقم بن نضلة بن هاشم وكان من رجال قريش، والضحاك وعمرو ابنا صيفي بن هاشم، ولم يحضره أحد من بني عبد شمس ولا نوفل لليد التي منهم، وعلقوا الكتاب في الكعبة.

فقال هاجر حين بعثوا عبد المطلب: والله لئن قلتم ذلك لقد رأيت رؤيا بيثرب ليكونن لولده شأن!

قالوا: وما رأيت؟

قال: رأيت كأن بني عبد المطلب يمشون فوق رؤس نخل يثرب، ويطرحون التمر إلى الناس، فليكونن لهم شأن وليكونن ذلك من يثرب.

قال هاجر: فقلت: والله ما لعبد المطلب إلاّ غلام يقال له الحارث! قال: فحالفوه، وتزوج عبد المطلب يومئذ لبنى بنت هاجر بن ضاطر فولدت له أبا لهب، وتزوج ممنعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمل الحبتري فولدت له الغيداق، قال: وكتبوا كتاباً كتبه لهم أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة، وكان بنو زهرة يكرمون عبد المطلب لصهره فكان الكتاب:

«هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات بني عمرو من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفاً جامعاً غير مفرق الأشياخ

على الأشياخ، والأصاغر على الأكابر، والشاهد على الغائب، تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت الشمس على ثبير، وما حن بفلاة بعير، وما قام الأخشبان، وما عمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً، وظلم الليل مداً، عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو، فصاروا يداً دون بني النضر، فعلى عبد المطلب النصرة لهم على كل طالب وتر في بر أو بحر أو سهل أو وعر، وعلى بني عمرو النصرة لعبد المطلب وولده على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى بالله حميلاً، ثم علقوا الكتاب في الكعبة، فقال عبد المطلب:

(الطويل)

سأوصي زبيراً إن توافت منيتي بإمساك ما بيني وبين بني عمرو

وأن يحفظ الحلف الذي سن شيخه

ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر

هم حفظوا الإل القديم وحالفوا

أباك فكانوا دون قومك من فهر

وأوصى عبد المطلب إلى ابنه الزبير، وأوصى الزبير إلى أبي طالب وأوصى أبو طالب إلى العباس، وفي تصديق ذلك قول عمرو بن سالم الخُزاعيّ للنبيّ ﷺ حين أغارت عليهم بنو بكر، فقتلوا من قتلوا من خزاعة:

(الرجز)

لا همّ إني ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

إنا ولدناه فكان ولدا ثمّت أسلمنا ولم ننزع يدا

قال أبو سعيد: أنشدنا أبو بكر تمام هذه القصيدة، قال: حدثنا به عبد الكريم بن الهيثمي بن زياد بإسناده في حديث طويل:

(الرجز)

إن قريشاً أخلفتك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وزعموا أن لست تدعو لهدى وجعلوا لي بكداء مرصدا

وهم أذل وأقل عددا وهم أتونا بالوتير هجّدا.[1]

خُزاعة والإسلام:

من مواقف هذه القبيلة في العصر الإسلامي الأول، وبالذات مع رسول الله صلى الله عليه وآله أنها كانت مسلمهم ومشركهم عَيبةَ نُصحٍ لرسول الله صلى الله عليه وآله ـ أي موضع سرّه، أو خاصته وأصحاب سرّه - بتهامة، صفقتهم معه (اتفاقهم معه)، لا يُخفون عنه شيئاً كان بها.

يقول الزهري: وكانت خُزاعة عيبة نُصح (خاصته وأصحاب سرّه) رسول الله صلى الله عليه وآله مسلمها ومشركها، لا يُخفون عنه شيئاً كان بمكة.[2]

---

١. انظر كتاب المنمق في أخبار قريش، المنسوب إلى محمد بن حبيب البغدادي المتوفى سنة ٢٤٥هـ وتاريخ الطبري ٢ : ٥٠٣؛ والسيرة النبوية، لابن هشام ٣ : ٣٢٦؛ ودلائل النبوة ٤ : ١٠٢ ...

٢. السيرة النبوية، لابن هشام ٣ : ٣٢٦ .

وراحوا ينقلون ما قاله معبد بن أبي معبد الخُزاعي وهو يومئذ مشرك لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد معركة أُحد، وما قام به معبد هذا من دور في تثبيط أبي سفيان عن العودة إلى المدينة، فقال: يا محمد، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عافاك فيهم!

ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وآله بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه، وقالوا: أصبنا حدَّ أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكُرَّن على بقيتهم، فلنفرغنّ منهم.

فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: ما وراءك يا معبد؟

قال:

محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أرَ مثله قطُّ، يتحرّقون عليكم تحرُّقاً، قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحَنق عليكم شيء لم أرَ مثله قطُّ؛ قال: ويحك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى أو ترى نواصي الخيل.

قال: فوالله لقد أجمعنا الكرَّة عليهم، لنستأصل بقيّتهم أو شأفتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني ما رأيتُ على أن قلتُ فيهم أبياتاً من شعر.

قال: وما قلت؟

قال: قلت:

كادت تُهدّ من الأصوات راحلتي

إذ سالت الأرضُ بالجُرد الأبابيل

عند اللقاء ولا ميلٍ معازيل

تردى بأُسدٍ كرامٍ لا تنابلة

لما سموا برئيس غير مخذول

فظلت عدواً أظنّ الأرض مائلة

إذا تغطمطت (أو تعظمت) البطحاء بالجيل

فقلتُ: ويل ابن حربٍ من لقائكم

لكلِّ ذي إربة منهم ومعقول

إني نذيرٌ لأهل البسل ضاحية

وليس يوصف ما أنذرتُ بالقيل

من جيش أحمدَ لا وخشٍ تنابلة

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.[١]

حلفُها الثاني:

مع الرسولﷺ في صلح الحديبية فقد كان بُديل بن ورقاء ورجال خُزاعة رُسلاً بين رسول اللهﷺ ومشركي مكة، بعد أن وصل الحديبية قاصداً البيت الحرام.

قال الزهري في حديثه: فلما اطمأن رسول اللهﷺ أتاه بُديل بن ورقاء

---

١. سيرة ابن هشام ٣ : ١٠٨ـ ١٠٩؛ وتفسير الطبري في تأويل الآية ١٧٣ آل عمران؛ والبداية والنهاية، لابن كثير ٤: ٥٧، غزوة أحد؛ وانظر الهوامش: البسل: قريش؛ لأنهم أهل مكة ومكة حرام ..

الخزاعي، في رجال من خزاعة، فكلموه وسألوه: ما الذي جاء به؟

فأخبرهم أنه لم يأتِ يريد حرباً، وإنما جاء زائراً البيت، ومعظّماً لحرمته، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا: يا معشر قريش، إنكم تعجلون على محمد، إنَّ محمداً لم يأتِ لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وجبّهوهم، وقالوا: وإن كان جاء ولا يريد قتالاً، فوالله لا يدخلها علينا عنوةً أبداً، ولا تحدّث بذلك عنّا العرب.[١]

ولما اتفق الفريقان على هدنة بينهما بادرت قبيلة خُزاعة، وكان على رأسها بديل بن ورقاء بالمجيء إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله في الحديبيّة، ودخلت في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عهده صلى الله عليه وآله حينما كُتبت وثيقة صلح الحديبيّة بينه صلى الله عليه وآله.

ومشركي مكة في شهر ذي القعدة من العام السادس الهجري، هدنة بينهما لمدة عشر سنوات.

وكان ذلك حين رفع شعار:

مَن أحبَّ أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده فيدخل فيه، ومَن أحبَّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه.

وكان هذا فيما شرطت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وشرط لهم، فدخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهده، والسبب في دخول خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وآله أن خزاعة كانت حليفة جدّه عبد المطلب حين تنازع مع عمّه نوفل في ساحات وأفنية من السقاية كانت في يد عبد المطلب فأخذها منه نوفل، ...ثم حالف نوفل بني أخيه عبد شمس، فحالف عبد المطلب خزاعة، وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفاً، ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب حلفها

---

١. انظر السيرة النبوية، لابن هشام ٣: ٣٢٥ – ٣٢٦ .

مع جدّه عبد المطلب، فقرأه عليه أبيّ بن كعب فأقرهم النبيُّ صلى الله عليه وآله على حلفهم. وكان نصّه:

باسمك اللّهم، هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم، ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ابني أفصى بن حارثة، تحالفوا على التناصر والمؤاساة ما بلَّ بحر صوفة، حلفاً جامعاً غير مفرق، الأشياخ على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب. وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد، لا ينقض ولا ينكث، ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير، وما قام الأخشبان، وعمر بمكة إنسان، حلف أبد لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شداً، وظلام الليل سداً. وإن عبد المطلب وولده ومن معهم دون سائر بني النضر بن كنانة، ورجال خزاعة، متكافئون متضافرون متعاونون. فعلى عبد المطلب النصرة لهم ممن تابعه على كلّ طالب وتر، في بر أو بحر أو سهل أو وعر. وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب، في شرق أو غرب، أو حزن أو سهب. وجعلوا الله على ذلك كفيلاً، وكفى به حميلاً. هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة، إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي، غائبهم مقر بما قضى عليهم شاهدهم، أن بيننا وبينك عهود الله وعقوده ما لا ينسى أبداً ولا يأتي بلداً، اليد واحدة، والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفه، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلاّ تجدّداً أبداً أبد الدهر سرمد.

فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله: «ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف، فكلّ حلف كان في الجاهلية، فلا يزيده الإسلام إلاّ شدة، ولاحلف في الإسلام».[1]

ولكن هذه الهدنة لم تدم طويلاً حتى نُقضت... حين اقتتل بنو بكر

١. أنساب الأشراف، للبلاذري : ٤٦؛ مكاتيب الرسول ٣: ٢٣٤.

وبنو خزاعة، ورفدت قريش بني بكر بالسلاح، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

قال الواقدي: كان ممن أعان من قريش بني بكر على خزاعة ليلتئذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو مع عيرهم وعبيدهم.

قال ابن إسحاق: ... فلما دخلت خزاعة مكة، لجؤوا إلى دار بديل بن ورقاء الخُزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابوا منها ما أصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخُزاعيُّ، ثم أحد بني كعب؛ حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال:

لا هم إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتلدا

فوالدا كنا وكنت ولدا

ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا

فانصر رسول الله نصرا أعتدا

وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا

أبيض مثل البدر ينمي صعدا

إن سيم خسفا وجهه تربدا

في فيلق كالبحر يجري مزبدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكَّدا

وجعلوا لي في كَداء رصدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا

وهم أذل وأقل عددا

هم بيتونا بالوتير هجدا

فقتَّلونا رُكّعاً وسُجّداً

يقول: قد قتّلونا وقد أسلمنا.

فقال رسول الله ﷺ حين سمع ذلك: قد نُصرتَ يا عمرو بن سالم!

ثم عرض لرسول الله ﷺ عَنانٌ من السماء، فقال: «إنَّ هذه السحابة لتستهلَّ بنصر بني كعب».[1]

بُديل وأبو سفيان:

ولما وقع عليهم عدوان قريش، وعدَّ عملها هذا نقضاً لاتفاق الحديبيّة، بادر بديل نفسه مع جمع من قومه بالذهاب إلى المدينة المنورة؛ لإخبار رسول الله ﷺ بما

---

١. انظر تاريخ الطبري ٢ : سنة ٨ هجرية ١٥٣-١٥٤.

فعلته قريش معهم من اعتداء، ونقض لما أبرم في الصلح المذكور. فكان هذا سبباً في أن يعدَّ رسول الله ﷺ العدَّة لفتح مكة ..

يقول الخبر:

ثم خرج بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأخبروه بما أصيب منهم؛ وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم. ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد كان رسول الله ﷺ قال للناس: «كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدّد العقد ويزيد في المدة».

ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه فلقوا أبا سفيان بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله ﷺ ليشدّد العقد ويزيد في المدة؛ وقد رهبوا الذي صنعوا، فلما لقي أبو سفيان بديلاً، قال: من أين أقبلت يا بديل؛ وظنَّ أنه قد أتى رسول الله ﷺ؟!

قال: سرت في خُزاعة في الساحل وفي بطن هذا الوادي.

قال أو ما أتيتَ محمداً؟!

قال: لا.

فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن كان جاء المدينة، لقد علف بها النّوى؛ فعمد إلى مبرك ناقته، فأخذ من بعرها فَفتّه، فرأى فيه النّوى، فقال: أحلف بالله، لقد جاء بديل محمداً!

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة ...ثم إنّ رسول الله ﷺ أعلم الناس أنه سائر إلى مكة وأمرهم بالجد والتهيؤ، وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها!

فتجهّز الناس، فقال حسان بن ثابت الأنصاري يُحرض الناس، ويذكر مصاب رجال خزاعة:

أتاني ولم أشهد ببطحاء مكة

رجال بني كعب تُحزُّ رقابُها
بأيدي رجال لم يَسلُّوا سيوفَهم
وقتلى كثير لم تُجنَّ ثيابُها
ألا ليت شعري هل تنالنّ نُصرتي
سهيل بن عمرو حرُّها وعقابُها
وصفوان عوداً حُزّ من شُفُر استه
فهذا أوان الحرب شُدَّ عصابُها
فلا تأمنَّنا يابن أمِّ مجالد
إذا احتُلبت صرفاً وأعصل نابُها
فلا تجزعوا منها فإنّ سيوفنا
لها وقعة بالموت يُفتح بابُها

وقول حسان: ... بأيدي رجال لم يسُلّوا سيوفَهم. يعني قريشاً وابن أم مجالد يعني عكرمة بن أبي جهل.

وقد روي عن بديل، يوم أن شارك في فتح مكة قوله: لما كان يوم الفتح، قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ورأى بعارضي سواداً: كم سنوك؟ قلتُ: سبع وتسعون، فقال: زادك الله جمالاً وسواداً.

وفي خبر سُمع بُديل بن ورقاء يقول: إنَّ ابن العباس أقامه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وقال: هذا بديل بن ورقاء، فقال له: كم سنوك؟

ورأى بعارضيه سواداً.

فقال: سبع وتسعون.

قال: زادك الله جمالاً وسواداً.[١]

إسلامهم:

بعد ذاك الإيجاز عن قبيلة خُزاعة وأنشطتها، يأتي الكلام عن إسلامها، وبالذات إسلام ثلّة ممن أنبتته هذه القبيلة وأثمرته حتى عدوا من الصالحين: بُديل بن ورقاء وأبناؤه. فقد ذكر عدد من المؤرخين علاقة خُزاعة برسول الله صلى الله عليه وآله وأنها كانت تحظى بمنزلة خاصة عنده، حتى أنه صلى الله عليه وآله خصّ في إسلامهم بُديلاً بكتاب، لا فقط نجد فيه دعوته صلى الله عليه وآله لبُديل وقومه إلى الإسلام، بل نجد فيه عمق العلاقة التاريخية بين بني هاشم وبينهم، فسلمة بن بديل كما روي عنه أنه قال: دفع إليَّ أبي بديل بن ورقاء كتاباً، فقال: يا بُنيَّ؛ هذا كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستوصوا به، فلن تزالوا بخير ما دام فيكم. فذكر الحديث وفيه أنّ الكتاب بخط علي بن أبي طالب عليه السلام وأنه:

«بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمّد رسول الله إلى بديل بن ورقاء، وسروات بني عمرو، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فإني لم آثم بالكم ولم أضع في جنبكم، وإن أكرم أهل تهامة عليَّ أنتم، وأقربهم لي رحماً، ومن معكم من المُطيبين، وإني قد أخذتُ لمن هاجر منكم مثل ما أخذتُ لنفسي، ولو هاجر بأرضه غير ساكن مكة إلا معتمراً أو حاجّاً، وإني لم أضع فيكم إذا سلمت، وإنكم غير خائفين من قبلي ولا مُحصَرين».[٢]

أما وقت إسلام بُديل، فقد وقع اختلاف فيه: بين قائل: تقدم إسلامه. وبين

---

١. المصدر السابق، وغيره .

٢. أسد الغابة ١: الباء والدال. بُديل .

قائل: إنه كان من كبار مسلمة الفتح. وقائل: إنه أسلم قبل الفتح.

فبديل بايع النبيّ صلى الله عليه وآله خارج مكة قبل أن يدخلها صلى الله عليه وآله فاتحاً، أسلم هو وابنه عبد الله وحكيم بن حزام، يوم فتح مكة بمر الظهران.[1]

ويبدو أن إسلام بديل، كان قديماً، فهو إن لم يكن قبل فتح مكة بوقت طويل، فهو قبله كما عليه القول الثالث.

إذن فبُديل ذلك الصحابي الجليل كان رجلاً صالحاً محبّاً للإسلام ولرسوله صلى الله عليه وآله وما ذكرناه يدلُّ على قدم إسلامه كما قال ابن مندة وأبو نعيم في أُسد الغابة: "تقدم إسلامه" نال وسام الصحبة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهو في عمق شيخوخته، ولم يمنعه كبرُ سنّه عن الوقوف مع رسول الله صلى الله عليه وآله والمشاركة في غزواته الكبرى: حنين والطائف وتبوك، كما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولاّه أمر الغنائم والسبي بعد غزوة حنين، فحبس النساء والأموال بالجعرانة حتى يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله. ولما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج إلى تبوك، بعثه وعمرو بن سالم وبُسر بن سفيان إلى بني كعب يستنفرهم إلى عدوهم، ثمَّ شهدوا هذه المعركة ..

وآخر ما شهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله حجّة الوداع، وقبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وافته المنيّة رضوان الله تعالى عليه. فيما ذكر ابن مندة أنه اختلف في وفاته؛ فقيل: قتل في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وقيل: قتل بصفين، وابنه عبد الله المقتول بصفين. وروى عنه ابناه: سلمة وعبد الله وغيرهما.[2]

هذا عن الأب بديل، وأما الكلام عن أولاده، فقد وصفوا بأنهم "من فضلاء

---

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، الباء والدال؛ والاستيعاب؛ وتاريخ الطبري.

٢. الإصابة؛ وأسد الغابة؛ وطبقات ابن سعد؛ معجم معرفة الصحابة، لابن منده الأصبهاني ١: ٢٧٨ رقم ٩٠، وغيرها ترجمة بُديل بن ورقاء.

الصحابة وجلّتهم" لهذا فإنَّ الكلام والكتابة عن عبد الله بن بديل، لا بدَّ وأن ينسحب لا فقط إلى أبيه، وقد وقع الكلام عنه، وإنما إلى إخوته السبعة، ولو بشكل مختصر، فهم جميعاً إخوة صالحون. فقد كان لبديل ثمانية أولاد، وفّقوا جميعاً للإسلام ولصحبة رسول الله ﷺ وللمشاركة في بعض ما تيسر لهم من مشاهده ﷺ ومشاهد أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فمن لم يُستشهد في عهد الرسول ﷺ استُشهد في عهد الإمام علي عليه السلام ..

أول شهيد خُزاعيّ:

فابنه نافع بن بُديل الخُزاعيّ، إسلامه قديم، بل ذُكر أنه أقدم إسلاماً حتى من أبيه، وكان أول شهيد من هذه العائلة في مأساة يوم بئر معونة، وهي بين أرض بني عامر وحَرة بني سُليم، كلا البلدين منها قريب، لكنها إلى حرة بني سُليم أقرب.

والتي وقعت في شهر صفر على رأس أربعة أشهر من أحد، وتعدُّ مأساةً قاسية، ذهب ضحيتَها أربعون أو سبعون ـ على اختلاف الأخبار ـ من الصحابة الأجلاء غدراً، إما كلّهم من الأنصار، وإما أنهم من المهاجرين والأنصار ..

فهذا أنس بن مالك يقول: يا رب، سبعين من الأنصار يوم بئر معونة!

وكان أبو سعيد الخدري يقول: قتلت من الأنصار في مواطن سبعين سبعين!

يوم أحد سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون، ويوم جسر أبي عبيد سبعون.

وينافيه أنَّ عدداً من الشهداء، ليسوا من الأنصار، إذن فهو أمر مختلف فيه..

وكان أنس بن مالك يقول: أنزل الله فيهم قرآناً قرأناها حتى نسخ: بلغوا قومنا أنا لقينا ربَّنا فرضي عنا ورضينا عنه.

لقد وقع هذا الحادث المؤلم حين قدم أبو براء عامر بن مالك مُلاعب الأسنّة على رسول الله ﷺ في المدينة، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام، ودعاه إليه، فلم

يُسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثتَ رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك.

فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد».

قال أبو البراء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعو الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو، ... في أربعين رجلاً من أصحابه، أو أنهم كانوا سبعين رجلاً من أصحابه، فهم من خيار الناس ومن القراء، منهم: ...، ونافع بن بُديل بن ورقاء الخُزاعي، ...

فساروا حتى نزلوا ببئر معونة، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا على الرجل فقتله،

ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا: لن نخفر أبا براء (ننقض عهده)، وقد عقد لهم عقداً وجواراً؛ فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعل وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم، يرحمهم الله، إلاّ كعب بن زيد، أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً، يرحمه الله ...

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري، ورجل من الأنصار، أحد بني عمرو بن عوف. قال ابن هشام: هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحاق: فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلاّ الطير تحوم على العسكر، فقالا: والله إنّ لهذه الطير لشأناً، فأقبلا لينظرا، فإذا القوم في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة. فقال الأنصاري لعمرو بن أمية:

ما ترى؟

قال : أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فقال الأنصاري: لكني ما

كنتُ لأرغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو، وما كنتُ لتخبرني عنه الرجال؛ ثم قاتل القوم حتى قتل، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً؛ فلما أخبرهم أنه من مضر، أطلقه عامر بن الطفيل، وجزّ ناصيته، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمّه ... فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ... قال رسول الله ﷺ: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً...».

وقال أنس بن عباس السلمي، وكان خال طعيمة بن عدي بن نوفل، وقتل يومئذ نافعَ بن بديل بن ورقاء الخزاعي:

تركت ابن ورقاء الخزاعي ثاوياً

بمعترك تسفي عليه الأعاصر

ومما جاء في مغازي الواقدي: "... فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهاً». ودعا رسول الله ﷺ على قتلتهم بعد الركعة من الصبح، في صبح تلك الليلة التي جاءه الخبر، فلما قال: سمع الله لمن حمده! قال: اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم، عليك ببني لحيان وزعبٍ ورعل وذكوان وعصية، فإنهم عصوا الله ورسوله، اللهم، عليك ببني لحيان وعضل والقارة، اللهم، أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن ابن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، غفارٌ غفر الله لها، وأسلم سالمها الله! ثم سجد. فقال ذلك خمس عشرة، ويقال أربعين يوماً، حتى نزلت هذه الآية: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ...**﴾. ولم يجد رسول الله ﷺ على قتلى ما وجد على قتلى بئر معونة. وكان أنس بن مالك يقول: أنزل الله فيهم قرآناً قرأناها حتى نسخ: بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه...

وقال عبد الله بن رواحة يبكي نافع بن بديل بن ورقاء:

رحم الله نافعَ بن بُديل

رحمةَ المبتغي ثواب الجهاد

صابرٌ صادقٌ وفيٌّ إذا ما

أكثر القومُ قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكي قتلى بئر معونة ويخصّ المنذر بن عمرو:

على قتلى معونة فاستهلي بدمع العين سحًّا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا مناياهم ولاقتهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم تخون عقد حبلهم بغدر
فيا لهفي لمنذر إذ تولّى وأعنق في منيته بصبر
وكائن قد أُصيب غداة ذاكم من أبيض ماجد من سرِّ عمرو.[١]

عبد الرحمن بن بُديل:

كان من الصحابة، ولما تولّى الإمامُ عليٌّ عليه السلام الخلافة؛ وجّه بعماله إلى جميع البلاد، التي كانت تحت طاعته، فسمع القوم وأطاعوا، وكان ممن وجههم بهذه المهمة عبد الرحمن بن بُديل بن ورقاء؛ دعاه، فعقد له عقداً، وأمره بالمسير إلى أرض الماهين أميراً وعاملاً عليها، وكان من الذين شاركوا في جيش الإمام عليٍّ عليه السلام في حرب صفين ضدَّ معاوية، حتى استشهد فيها رضوان الله عليه ..

---

١. انظر السيرة النبوية، لابن هشام ٣ : ١٩٣-١٩٩ حديث بئر معونة. بإيجاز؛ وكتاب المغازي، للواقدي؛ وانظر الإصابة رقم: ٨٦٥٦ .

ففي الإصابة عبد الرحمن بن بديل بن ورقاء الخزاعي وهو أخو عبد الله، قُتلاَ بصفين مع عليّ عليه السلام.[١]

وأبو عمرو بن بُديل:

لما استشرى الفساد في عهد الخليفة عثمان بن عفان حتى صار ظاهرة خطيرة، أدّت إلى وقوع ثورة كبرى رفضاً لسياسته، واستنكاراً لتسلط أبناء عمومته من بني أميّة، فكان للصحابي عمرو بن بُديل كما لغيره دور في رفض الانحراف الواقع في مفاصل الدولة، وللمطالبة بإقالة الفاسدين ومحاسبتهم ..

ففي فتنة الخلافة الثالثة؛ ... ولما كان شوال سنة خمس وثلاثين؛ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أُمراء، المقلّل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ألف. على الرفاق... وأبو عمرو بن بُديل بن ورقاء الخُزاعيّ و...، وخرج أهل الكوفة، ... وخرج أهل البصرة ...، سوى من تلاحق بهم من الناس، فأمّا أهل مصر فإنهم كانا يشتهون عليّاً، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير، ... فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا عليّاً، ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة، ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير، ...

كتب أهل مصر بالسقيا – أو بذي خشب – إلى عثمان بكتاب فجاء به رجل منهم حتى دخل به عليهم، فلم يرد عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس

---

١. انظر الفتوح، لابن أعثم ٢ : ٤٤٨ وفيه: دعا بعبد الرحمن مولى بديل بن ورقاء، ويبدو أنه خطأ، انظر في تفريق علي عليه السلام عماله على الأمصار الطبري ٥ : ١٦١؛ ابن الأثير ٢: ٣٠٩؛ وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٩– ١٨٠. وانظر معجم البلدان: الماهان: تثنية الماه. والماهان: الدينور ونهاوند، والماهان ماه البصرة (نهاوند) وماه الكوفة (الدينور).

أربعة مع كلّ رجل منهم لواء، وكان جماع أمرهم جميعاً إلى أبي عمرو بن بُديل بن ورقاء الخزاعي، وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وإلى عبدالرحمن بن عديس التجيبي فكان فيما كتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم؛ أما بعد، فاعلم أنَّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالله فالله! ثم الله الله! فإنك على دنيا فاستتِمَّ إليها معها آخرة، ولا تلبس نصيبك من الآخرة، فلا تسوغ لك الدنيا، واعلم أنا والله لله نغضب، وفي الله نرضى، وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة محلّجة مُبلِجة، فهذه مقالتنا لك، وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك، والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة ويحتجون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله... فلما خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج، فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب... فأرسل إلى عليّ فدعاه فلما جاءه قال يا أبا حسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت وكان مني ما قد علمت... ولم أجد لوقت وفاته وكيف كانت ذكراً.[1]

أما كلٌّ من سلمة ومحمد وعبد الرحمن وهم أيضاً أبناء بُديل بن ورقاء الخُزاعي، فلم أجد لهم ترجمة، سوى أنَّ لهم صحبة، وأنَّ محمداً كان وأخوه عبد الله رسولي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أهل اليمن، وقيل هما عبد الله وعبد الرحمن.

وأما عثمان بن بُديل، فهو أيضاً لم أجد فيما تيسر لي ترجمة وافية له، إلاّ أنه استشهد رضوان الله عليه بين يدي الإمام عليٍّ عليه السلام في معركة الجمل، وقد

---

١. انظر التفصيل في تاريخ الطبري سنة ٣٥ :٦٥٢ـ٦٦٣؛ والإصابة رقم:٧٩٠؛ و كتاب الجمل، للشيخ المفيد : ١٣٧ـ١٤٠؛ و نسب معد واليمن الكبير، الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)٢ : ٤٥٤ .

استفاد مَن ذكر شهادته هذه من نداء أخيه عبد الله حين أزال معاوية ومن معه من جنده عن موقفه في معركة صفين، وجعل ينادي: يا ثارات عثمان! وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأشفق على نفسه..

وإنما يعني أخاً له كان قد قتل. دون أن يُذكر في الجمل قتل أو في صفين، ولكن بعض قال: إنه قتل في الجمل، ولم أجد مصدراً لذلك، كما لم يذكره الشيخ المفيد في كتابه الجمل.[١]

عبد الله بن بُديل الخُز اعيّ:

أما عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخُزاعي، ومقالتنا حوله، فقد ولد في تهامة دار بني قومه، ودرج في بيئتها، وتحت رعاية خاصة من أبيه سيد قبيلة خُزاعة وزعيمها، فكانت ولادته ونشأته في أجواء تلك الزعامة وما يلازمها؛ والتي كان منها أن أتقن فنون الفروسية والرمي والقتال والغزو وشؤون القيادة، إضافةً إلى ما تركته تلك البيئة الصحراوية بصفائها ونعمها وبخشونتها ومتاعبها من بصمات على سلوكه وسيرته وفصاحته وشجاعته، فكان عبد الله بن بديل ذا حكمة وعقل وقوة وصبر، تفوّق بها على مَن حوله، وشهد بها لا فقط أقرانه بل مناوئوه، وكان له نخل كثير، مما جعله بكل هذه الصفات أن يكون بعد أبيه سيد قبيلته خزاعة ..

ولما انقسم الناس إزاء رسالة السماء التي حملها رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فكانوا بين فريقين:

فريق آمن بها

وفريق كفر بها

---

١. انظر الاستيعاب ٢: ٨٥؛ وأُسد الغابة ٢: ٣٣٤؛ والإصابة ٢: ٦٢؛ وتاريخ بغداد ١: ٢٠٤؛ وانظر شرح النهج ٥ : ١٩٦؛ ووقعة صفين : ٢٤٥ .

كان عبد الله هذا سبّاقاً إلى حيث الفريق الأول؛ فنطق بالشهادتين، والنبيُّ صلى الله عليه وآله مازال بعدُ في مكة المكرمة؛ ليكون هو وإخوته في دائرة الإسلام ومدرسة الصحبة المباركة لرسول الله صلى الله عليه وآله، حتى عدّ هو وإخوته من أبناء بُديل بن ورقاء "من فضلاء الصحابة وجلّتهم"!

ولعل هذا الوصف لهم يشير إلى قدم إسلامهم، وإن ذكر بعضهم أنَّ إسلام عبد الله كان قبل الفتح، مكتفياً بذلك دون تحديد وقت إسلامه قبل ذلك الفتح أي فتح مكة وهو الفتح الأعظم، الذي وقع في شهر رمضان سنة ٨ هجرية، وهذا القول كما ترى يتعارض مع القول الأول.

ثمَّ ليكون في دائرة المهاجرين، هذا ما نصَّ عليه الزهري قال: كان دهاة الناس في الفتنة خمسة: فمن قريش عمرو، ومعاوية، ومن الأنصار: قيس بن سعد، ... ومن المهاجرين عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي ...

وكان عبد الله وأخوه عبد الرحمن وعلى قول أخوه محمد مبعوثي رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن.[١]

وفي الوقائع:

لم أجد فيما تيسر لي من المصادر التاريخية شيئاً يذكر عن مشاركته في معارك المسلمين الأولى: معركة بدر ومعركة أُحد، إلاّ أنه كان مشاركاً في الفتح وفي معركة حنين وكذا في وقعة الطائف وفي معركة تبوك.. كما لم يذكر مؤرخو التاريخ شيئاً له في كل ما حدث بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أمر يثير الاستغراب حقّاً؛ لأنه لم يكن شخصية تخلو من مقام اجتماعيٍّ لها، بل كان سيّد قومه خُزاعة وزعيمها

١. انظر سير أعلام النبلاء ٣ : ١٦ و٧١؛ والإصابة ٢ : ٢٧٢-٢٧٣؛ وأسد الغابة ٢ : ١٢٤؛ والاستيعاب ٢ : ١٢٤؛ وتاريخ بغداد ١ : ٢٠٤ .

ومن وجوه الصحابة ومن مشاهير دهاة العرب، بل هو "أحد خمسة أو ستة من مشاهير دهاة العرب" وقد عرف بشجاعته وإقدامه.. فلعلّ هناك أسباباً حالت دون مشاركته، ولعلَّ بعده عن مواقع الأحداث، فهو كان يسكن في تهامة، من تلك الأسباب، أو أنه كان ضحية غفلة أو إهمال مَن كتب، وعلى فرض أنه لم يوفّق في المشاركة في معارك الإسلام الأولى: معركة بدر الكبرى، ومعركة أحد وكذا معركة الخندق، لكنه وفّق في المساهمة في غيرها: فتح مكة، ومعركة حُنين، وكذا الطائف وتبوك، كما أنَّ غياب ذكره هذا لم يعدم مشاركاته بين يدي الإمام عليٍّ عليه السلام في الجمل وصفين، وقبل هذا في وقائع قتالية في أصفهان حين وجهه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إليها سنة ٢٣ هجرية على رأس ألفي راجل وفارس من جند أهل البصرة؛ ففتح جَيَّ صلحاً بعد قتال على أن يؤدي أهلها الخراج والجزية... وغلب على أرض أصفهان وطساسيجها، وبعد فتحها سار في سهلها وجبلها وأطرافها، وقد لحق القائد الفارسي يزدجرد بن شهريار بن كسرى حين فرَّ هذا الأخير منه، إلاّ أنَّ ملاحقته له فشلت حين لم يظفر به ..

وفتح كرمان؛ ثمَّ فتح الطَّبَسَين؛ وهما حصنان معروفان في كرمان ويُعدّان بابَي خراسان.

وفي تاريخ الطبري أنَّ المدائني ذكر أنَّ عليَّ بن مجاهد أخبره عن... عن مرزُبان قُهستان أنه قال: فتح كرمان عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخُزاعي في خلافة عمر بن الخطاب، ثمَّ أتى الطبسين من كرمان؛ ثمَّ قدم على عمر، فقال: يا أميرالمؤمنين، إني فتحتُ الطبسين؛ فأقطِعنيهما، فأراد أن يفعل، فقيل لعمر: إنها رُستاقان عظيمان، فلم يُقطعه إياهما، وهما بابا خُراسان.

وظلَّ في أصفهان عاملاً عليها إلى نهاية السنة الأولى من الخلافة الثالثة، فولاّها عثمانُ السائبَ بن الأقرع .. وفي سنة ٢٩ هجرية كان عبد الله بن بُديل على

مقدمة الجيش حين غزا والي البصرة عبد الله بن عامر أصفهان، فأتاها وصالح أهلها.[١]

فتنة الخلافة الثالثة:

وفي هذه الفتنة نقل لنا التاريخ أنَّ عبد الله بن بديل وأخاه أبا عمرو، وقد ذكرناه، كان لهما دور في الوقوف بوجه الفساد الذي اتّسع في مفاصل الخلافة، فقد كان أحد المشاركين بل من "القوّاد الذين أقبلوا إلى عثمان".

لما مضت أيام التشريق، أطافوا بدار عُثْمَان، وأبى إلاّ الإقامة عَلَى أمره، وأرسل إلَى حشمه وخاصته فجمعهم، فقام رجل من أصْحَاب النَّبيّ صلى الله عليه وآله يقال لَهُ: نيار بن عياض، وكَانَ شيخاً كبيراً، فنادى: يَا عُثْمَانُ، فأشرف عَلَيْهِ من أعلى داره، فناشده الله، وذكَّره الله لما اعتزلهم!

فبينا هُوَ يراجعه الكلام، إذ رماه رجل من أصْحَاب عُثْمَان فقتله بسهم، وزعموا أنَّ الَّذِي رماه كثير بن الصلت الكندي، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ عِنْدَ ذَلِكَ: ادفع إلينا قاتل نيار بن عياض، فلنقتله بهِ.

فَقَالَ: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني، وَأَنْتُمْ تريدون قتلي! فلما رأوا ذَلِكَ ثاروا إلَى بابه فأحرقوه، وخرج عَلَيْهِم مَرْوَان بن الحكم من دار عُثْمَان فِي عصابة، وخرج سَعِيد بن الْعَاص فِي عصابة، وخرج الْمُغِيرَةُ بن الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زُهرة فِي عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكَانَ الَّذِي حادهم عَلَى القتال أنه بلغهم أنَّ مدداً من أهل الْبَصْرَةِ قَدْ نزلوا

---

١. فتوح البلدان : ٣٠٨، ٣١١، ٣٩٤؛ وتاريخ بغداد ١: ٢٠٤؛ تاريخ الطبري ٢ : ٥٥٤؛ ومعجم البلدان ٦: ٢٧؛ وترجمته في الإصابة ٢: ٢٧٢؛ وأسد الغابة ٣ : ١٢٤؛ والاستيعاب ٢: ٢٥٩؛ وسير أعلام النبلاء : ١٤٣ .

صِراراً، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ليلة، وأنَّ أهل الشام قَدْ توجهوا مقبلين.

فقاتلوهم قتالاً شديداً عَلَى باب الدار، فحمل الْمُغِيرَةُ بن الأخنس الثقفي عَلَى القوم، وَهُوَ يقول مرتجزاً:

قَدْ علمت جارية عطبول لها وشاح ولها حجول

أني بنصل السيف خنشليل

فحمل عَلَيْهِ عَبْد اللهِ بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وَهُوَ يقول:

إن تك بالسيف كما تقول فاثبت لقرنٍ ماجدٍ يصول

بمشرفيٍّ حدُّهُ مصقول

فضربه عَبْد اللهِ فقتله، ...[١]

لقد كانت حركة هؤلاء الثائرين وهم من أصناف المجتمع المسلم يومذاك؛ ضدَّ الفساد الذي راح ينخر في مفاصل دولة الخلافة الثالثة، والتي صار فيها بنو أمية أصحاب القرار، يعطون من يريدون، ويمنعون آخرين، كلُّ هذا بحسب أهوائهم، بعد أن صارت الدولة بأيديهم كما أطلقها كبيرهم أبو سفيان (المتوفى بين٣٠ – ٣٤ هجرية)، حين تولّى عثمان الخلافة سنة (٢٣ – ٣٥ هـ):

(يا بني أمية تلاقفوها تلاقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة و لا نارا!)

وأردفها بكلمته المشهورة يخاطب قبر حمزة سيد الشهداء، وهو يركله برجله:

(يا حمزة إنَّ الأمر الّذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم. أو يا أبا عمارة، إنَّ الأمر الذي تجادلنا عليه قد أصبح في غلماننا! أو قم يا أبا عمارة...).[٢]

---

١. انظر العقد الفريد ٤ : ٢٩٢؛ تاريخ الطبري ٢ : ٦٧٠ ـ ٦٧١، سنة ٣٥ .

٢. انظر النزاع والتخاصم، للمقريزي : ٥٧ و غيره .

لقد كانت ثورة ضمّت الكثير من المسلمين ومن الصحابة بالذات، نقموا على الخليفة ورجال إدارته وسلطته؛ للفساد والمظالم التي عمَّت الخلافة ودولتها، وتركت آثارها السيئة على الساحة المسلمة، وبدافع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثاروا عليه، لا كما راح يصورها آخرون من أنها لا تتعدى حقداً على الخليفة وعداوةً وبغضاء كما في الخبر الذي نقله أبوالحسن عن جبير بن سيرين قال: دخل ابن بديل على عثمان وبيده سيف، وكانت بينهما شحناء، فضربه بالسيف، فاتقاه بيده، فقطعها، فقال: أما إنها أول كف خطّت المفصّل.[١]

وإنه مما لا شك فيه أنَّ الكثيرين كرهوا ورفضوا أداءه السيء و إدارته الفاسدة والظالمة في البلاد، وانقياد عثمان لبني عمومته، حتى جعلته لا يتحمل أصدق لهجة أظلتها السماء، وأقلّتها الأرض؛ بتصريح رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر». وهو يعرفها جيداً أنها صدرت بحق الصحابي الجليل أبي ذر، الذي ما فتئ يُقدم نصيحته له، ويشجب توزيع ثروة الأمّة وأموالها بغير حقٍّ وعدل، ويُؤشر على المظالم التي اقترفها ولاتُه وبنو عمومته ..

فأعلنوا ثورتهم وقد تجمعوا في المدينة المنورة، إلا أنَّهم ــ وهم من مصر والمدينة ومكة والبصرة والكوفة...- ليسوا على ولاء واحد، منهم من يرغب بطلحة ويتبع أوامره، ومنهم من يرغب بالزبير ويتبع أوامره، ومنهم من كان ولاؤه للإمام عليٍّ عليه السلام، ومنهم من لا ولاء عنده لأيّ من الثلاثة، وقد دفعه للمشاركة إما العقل الجمعي، وإما لمصالح يبتغيها، أو مستنكراً للانحراف في الساحة، أو له هدف آخر، كما لا تخلو هذه الظاهرة أيضاً من مندسّين قطعاً، شأنها شأن أي ظاهرة جماهيرية غاضبة.. لكن الذي أريد قوله: إنَّ من كان من الثوار موالياً للإمام

---

١. العقد الفريد ٥ : ٤٨ في مقتل عثمان .

عليٍّ عليه السلام، تابعاً له، يسير بسيرته، ويتبع أوامره، لا يمكن أن يكون مشاركاً في قتل الخليفة أبداً، نجد ذلك واضحاً إذا دقّقنا النظر في أحداث ما وقع وأخباره، وما نُسب إلى بعضهم فهو إما مختلق من قبل أعدائهم وبالذات من بني أمية ومن هم على شاكلتهم، وإما جاء في خبر من ضعيفٍ أو مجهولٍ، وأفضل دليل هو مواقف الإمام عليٍّ عليه السلام وجهوده التي بذلها بين الخليفة والثوار، والتي لم تتوقف في تسكين ثائرة وخواطر الثوار، وهي وساطة شهد بها نفسه حيث قال عليه السلام:

«... والله لقد دفعتُ عنه حتى خشيتُ أن أكون آثماً».

وحتى بلغ في منع الحدث من أن يصل إلى ما وصل إليه من قتل الخليفة درجةً جعلت مروان ابن عمِّ الخليفة وهو المملوء عداءً للإمام عليه السلام يعترف بذلك، نجد هذا فيما نُسب إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال:

قال لي مروان:

ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم.

قلتُ: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟

قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك![1]

وأنَّ دفاعه عليه السلام ـ كما يبدو ـ ليس دفاعاً عن الظلمة والمفسدين أبداً، ولم يكن مع الطرف الآخر، وإنما هو حرصه على سلامة الساحة المسلمة والجمع المسلم وإنهاء أسباب الظلم والفساد في دولة الخلافة، وقد شخّص عليه السلام ما وقع بقوله عن قتل عثمان:

«... إنه استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم (وجزعوا فأساؤوا)

---

١. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٢٠؛ وغيره .

الجزع ...»؟![1]

فلا يمكنه الوقوف مع أي طرف منهما، فكلاهما أساءا، وحاشاه أن يقف مع من أساء، وإن كان ما رفعه المخلصون من الثوار حقّاً.. لكنه اختار أن يدفع عن الناس كلَّ ما من شأنه أن يلحق بهم ضرراً فادحاً وبالساحة خطراً جسيماً، ولو بعد حين، وأنه في دفاعه هذا لم يكن يرى أنَّ ما انتهى إليه الأمر هو الأسلوب الصحيح في علاج أمراض الساحة وما فيها من فساد، وهو القائل لعثمان:

«إنَّ الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك ...».

استغل طلحة والزبير، وعائشة، ومعاوية وسواهم هذا الموقف الناصح لعثمان، والساعي إلى حمله على إصلاح الأمور، فوجهوا التهم إليه، مع أنهم كانوا أشد المحرضين، وأقوى المشاركين للناس فيه، أما علي عليه السلام، فلم يكن يريد لعثمان أن يقتل على هذا النحو، ولكنه لم يكن يرى أيضاً أن الإعتراضات على عثمان كانت باطلة. بل كان يجاهر بمؤاخذاته له، ويدعوه إلى التراجع عنها. وقد وعده عثمان بذلك أكثر من مرة، ثم يخلف بوعده...».[2]

فموقفه عليه السلام الناصح للخليفة، وسعيه الحثيث على إصلاح الأمور هو ما اتّسمت به جهوده، وبالتالي لا يمكن لمن يتولاّه ويقتدي به مخالفتها، أو الابتعاد عنها، والإقدام على قتل عثمان، ولو كان هناك أحدٌ منهم يفعل فعلَته هذه، لما تساهل معه الإمام عليه السلام، وهو المعروف بطهارته وصدقه وحزمه والعمل بوجه واحد ونهج واضح لا غبار عليه،..

---

١. شرح نهج البلاغة ٢ : ١٢٦؛ تاريخ الطبري سنة ٣٥ . وغيرهما .

٢. الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، سيد جعفر العاملي ١٨ : الباب السابع عشر علي عليه السلام وقتل عثمان.

ولكن بعد أن وصل الأمر إلى نهايته، وأنَّ ضغط الثوار قد يُلجئ الخليفة إلى تلبية مطالبهم، انبرت أطراف لها مصلحة في عدم تلبية تلك المطالب، وتبتغي إبقاء سياسة الخليفة في جميع مفاصلها كما هي، حتى وإن أدى ذلك إلى قتله، ليُلبسوا على الناس، ويشوهوا معالم ثورتهم، ويحمّلوا الإمام عليًّا عليه السلام وأتباعه المسؤولية. ولا يستبعد، بل المؤكد أنَّ لمروان بن الحكم ابن عمِّ الخليفة ولمعاوية وعمرو بن العاص، وكذا للثلاثي طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهم أمُّ المؤمنين عائشة ولغيرهم كسعد بن أبي وقاص؛ بشكل وبآخر دوراً في هذه الفتنة وما آلت إليه الأمور تحريضاً وتأليباً ورضاً وحرصاً على قتل الخليفة أو تلكُّأً في تقديم الدعم له أو النصح ...

ففي الوقت الذي كان الإمام عليٌّ عليه السلام في ماله بخيبر لما حصر عثمان، فقدم المدينة .. وراح يسعى في درء الفتنة، نجد أمَّ المؤمنين عائشة وقد تعللت بالحج، والفتنة قائمة، وعثمان محاصر في داره، دون أن تتدخل لإنهاء الأمر، وقد قالوا لها: يا أمَّ المؤمنين لو أقمت فإنَّ أمير المؤمنين على ما ترين محصور ومقامك مما يدفع الله به عنه!

فقالت: "قد حلبت ظهري وعريت غرائري ولست أقدر على المقام".

فأعادوا عليها الكلام فأعادت عليهم مثل ما قالت لهم، فقام مروان وهو يقول:

وحرّق قيس على البلاد حتى إذا استعرت أجذما

يريد أنها سبّبت الثورة على عثمان ثم تتركه.

فقالت عائشة: أيها المتمثل عليّ بالأشعار وددت والله أنك وصاحبك هذا الذي يعنيك أمره في رجل كل واحد منكما رحا وأنكما في البحر". وخرجت إلى

مكة.[١]

هذا موقفها، لكنها حين وجدت عليًّا وقد تولّى الخلافة، راحت تتهمه بقتل عثمان بل وتطالب بدمه! وهي التي كانت تحرض على قتله، وتقول: (اُقتلوا نعثلاً فقد كفر). و(نعثل) تقصد به عثمان، وتقول أيضاً: "هذا ثوب رسول الله، لم يبل وعثمان قد أبلى سنته"...

ونجد عمرو بن العاص لما سعر الشرُّ بالمدينة، خرج إلى منزله بفلسطين، وقد كان شديد التحريض والتأليب على عثمان، وكان يقول: والله إن كنت لألقى الراعي فأحرضه على عثمان فضلاً عن الرؤساء والوجوه، .. فلما مرَّ به ومعه ابناه راكبٌ من المدينة فسألوه عن عثمان، فقال: محصور، فقال عمرو: أنا أبو عبد الله (العير يضرط والمكواة في النار)، ثم مرَّ بهم آخر، فسألوه، فقال: قتل عثمان، فقال عمرو: أنا أبو عبد الله، إذا نكأت قرحة أدميتها ...[٢]

ونجد مروان بن الحكم، الذي ظلَّ يعيث فساداً وبالأخص في الخلافة الثالثة، ما إن تهدأ الأمور حتى نجده سبباً في إثارتها وإذكاء أوارها... فمروان هو الذي رفض الخليفة تسليمه لأهل مصر، بعد أن زوّر على لسان عثمان كتاباً إلى مصر يأمر بقتل زعماء وفد الثوّار بعد عودتهم من المدينة، ولو سلّمه عثمان لتركه الثوار وشأنه ..

ومروان هو الذي رفضت نائلة امرأة عثمان أن يتكلم، حين أراد ذلك قائلةً له: لا بل تسكت، فأنتم والله قاتلوه وميتمو أطفاله ..، وهي القائلة لعثمان أيضاً: متى أطعتَ مروان قتلك، وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة، وإنما تركك الناس

---

١. انظر طبقات ابن سعد، مروان بن الحكم .

٢. تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٥ .

لمكانه. ثم قالت له: وإنما رجع عنك أهل مصر لقول عليٍّ، فأرسل إليه، فاستصلحه، فإنَّ له عند الناس قدماً، وأنه لا يعصى ...

لقد كان مروان ظلَّ يُراقب بجد تحركات الخليفة ويُحصي عليه أقواله للثوار بل أنفاسه، وإن لم يفِ الخليفة بوعوده، لكنها كانت موضع اهتمام مروان وعدم رضاه بل ورفضه، حدث هذا بعد أن خطب الخليفة خطبته التي أعطى الناس فيها من نفسه التوبة، وقال لهم: أنا أول من اتعظ واستغفر الله عما فعلت وتاب إليه. فليأتني أشرافكم، فليروا رأيهم، وليذكر كلُّ واحد منهم ظلامته؛ لأكشفها، وحاجته لأقضيها، والله لأعطينكم الرضا، ولأنحين مروان وذويه.

فلما نزل وجد مروان في بيته، ولم يستطع ردعه عما يريد، وحينها استطاع أن يُبطل كل ما قاله الخليفة، وشنَّ هجوماً على الناس المجتمعين حول دار الخليفة، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب شاهت الوجوه؟! أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟! أغربوا عنا، وتهددهم، فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان ..

وما أدقَّ ذلك الوصف الذي نُسب للإمام عليّ عليه السلام، للعلاقة بين الاثنين عثمان ومروان، جاء ذلك الوصف حين أتى بعضهم عليّاً، فأخبره الخبر، فأقبل عليٌّ على عبد الرحمن بن الأسود الزهري، فقال: «أحضرت خطبة عثمان؟».

قال: نعم. قال: «أفحضرت مقالة مروان للناس؟».

قال: نعم.

فقال: «أي عباد الله يا لله للمسلمين، إني إن قعدتُ في بيتي، قال لي: تركتني وخذلتني، وإن تكلمتُ فبلغت له ما يريد، جاء مروان يلعب به حتى قد صار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن وصحبة الرسول».

وقام مغضباً من فوره حتى دخل على عثمان فقال له: «أما يرضى مروان

منك إلاّ أن يحرفك عن دينك وعقلك، فأنت معه كجمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا عقله، وإني لأراه يوردك ثم لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لعاتبتك أفسدت شرفك وغلبت على رأيك»؛ ثم نهض...[1]

وهكذا البقية ممن ذكرنا، ولكنهم جميعاً وإن اختلفت أهدافهم، لكن شعار (الثأر لدم عثمان) تمسّكوا به، وكأنه الدمُ الأطهر، حتى راحت الدماء تسكب بغزارة، والأرواح تزهق في حروب ثلاثة كبرى: الجمل وصفين وأيضاً النهروان، وبقي وما زال إلى يومنا هذا موضع فتنة مُلئت بسببه القلوب أحقاداً وضغائن، وشُتت بسببه الأمّة ...

يقول السيد العاملي: «... قتل عثمان في تلك الظروف، وعلى النحو الذي كان، لم يكن بالذي يخدم قضية الإسلام، بل كان من شأنه أن يلحق به ضرراً فادحاً، وجسيماً.. فقتل عثمان أعطى الفرصة لأولئك المترصدين من أصحاب المطامع والأهواء لإستغلال جهل الناس، وضعفهم، وظروف حياتهم، وما تركته السياسات من آثار سلبية على مفاهيمهم، وفي عقليتهم، ونظرتهم، وفي عقائدهم، وغير ذلك.. الأمر الذي هيأ الفرصة لأولئك المترصدين، لرفع شعار الأخذ بثارات عثمان، واتخاذ ذلك ذريعة للوقوف في وجه الشرعية المتمثلة بأمير المؤمنين عليه السلام، وإلقاء الشبهات والتشكيكات حول موقفه وموقف أصحابه عليه السلام .. وهذا ما حصل بالفعل، ونشأت عنه حروب الجمل، وصفين، والنهروان، على النحو الذي سجله التاريخ، ولو أنهم اكتفوا بخلع عثمان، ولم يقتلوه لكفاهم ذلك، ولكن الأمور لم تقف عند هذا الحد، ولربما كان ذلك أمراً مدبراً بليل، خصوصاً من قبل طلحة والزبير.. وبرضى من معاوية وعمرو بن العاص وغيرهم...».

---

١. تاريخ الطبري ، سنة ٣٥ ، وغيره .

نكتفي بهذه الوجيزة، وإلاّ فالموضوع هذا فيه كلام طويل، لا تتحمله هذه المقالة.[١]

ولاؤه: عرف عبد الله بن بُديل بولائه للإمام عليٍّ عليه السلام، بل من أفاضل أصحابه وأعيانهم، وقد كان وأخوه محمد من المهاجرين المبادرين لبيعته عليه السلام بالخلافة، وكانا من أولئك الباذلين أنفسهم في طاعته، مع الإمام عليٍّ عليه السلام.

لقد كان عبد الله وأخوه محمد ابنا بُديل الخُزاعي من جملة المهاجرين الذين بايعوا الإمام عليّاً عليه السلام بالخلافة، هكذا ذكر الشيخ المفيد رحمه الله تعالى، كما ذكرهما في بيعة سائر الشيعة ممن كانوا بالمدينة عند قتل عثمان، وأطبقوا على الرضا بأمير المؤمنين عليه السلام، فبايعوه على حرب من حارب وسلم من سالم، وأن لا يولوا في نصرته الأدبار، فحضروا مشاهده كلها لا يتأخر عنه منهم أحد حتى مضى الشهيد منهم على نصرته، وبقي المتأخر منهم على حجّته حتى مضى أمير المؤمنين عليه السلام لسبيله، وكان من بقي منهم بعده على ولايته والاعتقاد لفضله على الكافة وإمامته ...[٢]

مع الإمام عليه السلام في مواقعه:

لقد سجل لنا التاريخ لهذا الصحابي الجليل بل ولقبيلته خُزاعة مواقف: ففي معركة الجمل التي دارت بين جيش الإمام عليٍّ عليه السلام، وبين الناكثين كلّ من

---

١. انظر تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٥؛ تاريخ ابن شبة، عن المدينة المنورة ٣-٤ :١١٧٠،١١٧١ وتاريخ الإسلام، للذهبي ٣ : ٤٦١؛ وباقي المصادر التاريخية؛ ومقالتنا في العدد ٣٨ : محمد بن أبي بكر؛ والصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام، السيد جعفر العاملي ١٨ : الباب السابع عشر: علي عليه السلام وقتل عثمان .

٢. كتاب الجمل، للشيخ المفيد ١٠٧، ١٠٩؛ أسد الغابة ، ترجمته .

طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومعهما أمُّ المؤمنين عائشة وجندهم، فكان لعبد الله بن بُديل دور بارز فيها ومواقف، كان منها ما رواه الرواة أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام أصدر أوامره ووصاياه لمن معه من أصحابه وأنصاره، وقد صُفّ الجيشان وجهاً لوجه؛ أن لا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يكشفوا عورةً، ولا يهيجوا امرأةً، ولا يمثّلوا بقتيل ..

وبينما هو يلقي بوصاياه هذه لأتباعه؛ إذ أظلَّهم نبلُ القوم، فقُتل رجل من أصحاب أمير المؤمنين، فلما رآه قتيلاً، قال: «اللّهم اشهد».

ثمَّ رُمي ابنُ عبد الله بن بُديل فقُتل، وفي قول آخر أنَّ المقتول أخو عبد الله وليس ابنه.

يقول الخبر: يقول ابن عباس، بعد أن حاور أصحاب الجمل:

فرجعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبرته الخبر وقلت: ما تنتظر؟ والله لا يعطيك القوم إلاّ السيف فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك!

فقال عليه السلام: «نستظهر بالله عليهم». قال ابن عباس: فوالله ما رمت من مكاني حتى طلع علي نشابهم كأنه جراد منتشر. فقلت: ما ترى يا أمير المؤمنين إلى ما يصنع القوم مرنا ندفعهم. فقال: حتى أعذر إليهم ثانية، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة فلم يقم أحد إلاّ غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يقال له مسلم كأني أراه فقال: أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم. وقد احتسبت نفسي عند الله فأعرض عنه إشفاقاً ونادى ثانية: من يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة؟ فقال مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه. ونادى ثالثة ولم يقم غير الفتى فدفع المصحف إليه وقال: إمض إليهم واعرضه عليهم وادعهم إلى ما فيه. فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف. وقال: هذا كتاب الله وأمير المؤمنين

يدعوكم إلى ما فيه.

فقالت عائشة: اشجروه بالرماح فقبحه الله فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب وكانت أمّه حاضرة فصاحت وطرحت نفسها عليه وجرته من موضعه ولحقها جماعة من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحته بين يدي أمير المؤمنين وهي تبكي وتقول:

يا رب إنّ (مسلماً) دعاهم

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

فخضبوا من دمه قناهم

وأمّهم قائمة تراهم

تأمرهم بالقتل لا تناهم

فلما رأى أمير المؤمنين ما قدم عليه القوم من العناد واستحلوه من سفك الدم الحرام، رفع يديه إلى السماء، وقال: «اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقربت إليك بالأعمال، ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾. ثم دعا ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية وهي راية رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا بني هذه راية لا ترد قط ولا ترد أبداً»!

قال محمد: فأخذتها والريح تهب عليها، فلما تمكنت من حملها، صارت الريح على طلحة والزبير وأصحاب الجمل فأردت أن أمشي بها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «قف يا بني حتى آمرك، ثم نادى أيها الناس لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورةً، ولا تهيجوا امرأةً، ولا تمثلوا بقتيل».

فبينا هو يوصي قومه إذ أظلنا نبل القوم، فقتل رجل من أصحاب أميرالمؤمنين، فلما رآه قتيلاً، قال: «اللهم اشهد»!

ثم رُمِيَ ابنٌ لعبد الله بن بُديل، فقُتل، فحمله أبوه عبدُ الله ومعه عبد الله بن

العباس حتى وضعناه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام!

فقال عبدُ الله بن بُديل: حتى متى يا أمير المؤمنين تستذري نحورنا للقوم يقتلوننا رجلاً رجلاً؟!

قد واللهِ أعذرنا إن كنتَ تريد الأعذار!

ثمَّ قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «رايتك يا بُنيَّ قدمها...».

أقواله لأمِّ المؤمنين:

في العقد الفريد عن ابن أبزى قال: انتهى عبد الله بن بديل إلى عائشة وهي في الهودج، فقال: يا أمَّ المؤمنين، أنشدك بالله، أتعلمين أني أتيتك يوم قتل عثمان، فقلت لكِ: إنَّ عثمان قد قُتل فما تأمرينني [به]؟

فقلتِ لي: إلزم عليّاً، فوالله ما غيّرَ ولا بدّلَ؟

فسكتت؛ ثم أعاد عليها، فسكتت ثلاث مرات.

فقال: اعقروا الجمل فعقروه!

قال الراوي الخبر: فنزلتُ أنا وأخوها محمد بن أبي بكر، فاحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدي عليَّ، فسُرَّ به، فأُدخل في منزل عبد الله بن بُديل.

ومن ذلك ما رواه أبو داود الطبري عن عبد الله بن شريك عن عامر عن عبد الله بن عامر قال: سمعت عبد الله بن بديل الخزاعي يقول لعائشة: أنشدك الله، ألم نسمعك تقولين سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«عليٌّ مع الحقّ والحقُّ مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»؟!

قالت: بلى.

فقال لها: إذا كان ذلك مم هذا؟!

قالت دعوني، والله لوددتُ أنّهم تفانوا جميعاً!

ولعبد الله بن بُديل بيتا شعر قالهما في حرب الجمل، وهما:

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت

حرب الوصيّ وما للحر من آسِ

الفاصل الحكم بالتقوى إذا ضربت

تلك القبائل أخماساً لأسداسِ.[١]

وفي معركة صفين:

«مع أنّ نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت!

أو والله لو استطاعت نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلاً على رجالها لفعلت»!

«والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا».

لقد اضطر معاوية أن يُعلن كلماته تلك صريحةً في أرض صفين.

فقد كان لخُزاعة متمثلةً بهذه الأسرة الكريمة شمائل ومناقب رفيعة، مما جعلها تقوم بدور كبير جدّاً، وراحت تُسجّل في تاريخها ذكريات طيبة، وجهوداً جريئة وشجاعة.

ومواقف شهدَ العدوُّ بفضلها ❊ والفضلُ ما شهدت به الأعداء

وهو شطر بيت للسري الرفاء من شعراء القرن الرابع الهجري في قصيدة يمدح بها الوزير المهلبي:

وشمائلٌ شهدَ العدوُّ بفضلها والفضلُ ما شهدت به الأعداء

ثم سار من بعده مثلاً يضمّنه بعض الشعراء قصائدهم في المدح: ومناقب ...والحقُّ ...، وأنا قلت: ومواقف ...

---

١. انظر كتاب الجمل : ٣٣٩-٣٤٢، ٤٣٣؛ العقد الفريد ٤ : ٣٢٨؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ١٤٦ ما ورد في الوصاية من الشعر .

لقد ظهرت كلُّ تلك المواقف في قتالها للمشركين في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي عهد الإمام عليٍّ عليه السلام في مكافحة وقتال البغاة في معركة الجمل، ثم في معركة صفّين؛ حينما أراد عليٌّ عليه السلام المسير إلى أهل الشام، دعا إليه من كان معه من المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر. وقد أردنا المسير إلى عدونا، وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم».

فراح عدد من أصحابه يدلي برأيه، فكان عبد الله بن بُديل بن ورقاء الخُزاعي واحداً منهم حيث قال: «يا أمير المؤمنين، إنَّ القوم لو كانوا الله يريدون أو لله يعملون، ما خالفونا. ولكن القوم إنما يقاتلون فراراً من الأسوة، وحبّاً للأثرة، وضنّاً بسلطانهم، وكرهاً لفراق دنياهم التي في أيديهم، وعلى إحنٍ في أنفسهم، وعداوةٍ يجدونها في صدورهم، لوقائع أوقعتَها يا أمير المؤمنين بهم قديمةٍ، قتلتَ فيها آباءهم وإخوانهم.

ثم التفت إلى الناس، فقال: فكيف يبايع معاوية عليّاً وقد قتل أخاه حنظلة، وخاله الوليد، وجدّه عتبة في موقف واحد. والله ما أظنُّ أن يفعلوا، ولن يستقيموا لكم دون أن تقصد فيهم المُرّان، وتقطع على هامهم السيوف، وتنثر حواجبهم بعمد الحديد، وتكون أمور جمّة بين الفريقين!

وإتماماً للحجّة، وإكمالاً للإعذار، مكث جيش الإمام طويلاً في صفين دون المباشرة بالقتال، فكانت هناك محاورة بين كلٍّ من عبد الله وأخيه عبد الرحمن ابني بديل بن ورقاء من جهة والإمام عليٍّ عليه السلام، ذكرها البلاذري عن صالح بن كيسان قال: سار عليٌّ إلى معاوية بن أبي سفيان، وسار معاوية إلى عليٍّ حتى نزلا بصفين، وخلف عليٌّ على الكوفة أبا مسعود الأنصاري، فمكثوا بصفين ما شاء الله، ثم إنَّ عبد الله وعبد الرحمان ابني بديل بن ورقاء دخلا على عليٍّ فقالا: حتى متى

لا تقاتل القوم؟

فقال عليٌّ عليه السلام: «لا تعجلا».

فقال عبد الله بن بديل: ما تنتظر بهم ومعك أهل البصائر والقرآن؟

فقال: «اهدأ أبا علقمة».

قال: إنّي أرى أن تقاتل القوم وتتركنا نبيّتهم.

فقال: «يا أبا علقمة لا تبيّت القوم، ولا تدفف على جريحهم، ولا تطلب هاربهم»![1]

وعلى إثر تبادل الكتب والرسائل بين الإمام عليٍّ عليه السلام وبين كلٍّ من معاوية وعمرو بن العاص، قال زياد بن النضر الحارثي لعبد الله بن بديل بن ورقاء: إنّ يومنا ويومهم ليوم عصيب، ما يصبر عليه إلاّ كلّ مشيَّع القلب، صادق النية، رابط الجأش. وأيم الله ما أظن ذلك اليوم يُبقى منا ومنهم إلاّ الرُّذال!

قال عبد الله بن بديل: والله أظنُّ ذلك.

فقال عليٌّ عليه السلام: «ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركما، لا تظهراه ولا يسمعه منكما سامع. إنَّ الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكلّ آتيه منيّته كما كتب الله له. فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته!

فلمّا سمع هاشم بن عتبة مقالتهم، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سربنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله،...

---

١. أنساب الأشراف، للبلاذري : ٣٣١ وفي هامشها يذكر الشيخ محمد باقر المحمودي محقّق الكتاب: «هذه المحاورة بينه عليه السلام وبين عبد الله بن بديل لم أرها في غير الكتاب مما عثرت عليه من كتب التاريخ».

فقال عليٌّ عليه السلام: «اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك، والمرافقة لنبيك صلى الله عليه وآله»!

ثم إنّ عليّاً عليه السلام صعد المنبر فخطب الناس ودعاهم إلى الجهاد ...

فاستعمل عليٌّ عليه السلام على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرجالة عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ودفع اللواء إلى هاشم بن عتبة ابن أبي وقاص الزهري، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن العباس، وجعل على رجالة الميمنة سليمان بن صرد الخُزاعي، ...وعلى خُزاعة عمرو بن الحمق...

وفي خبر أنه عليه السلام بعث على ميمنته عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، بعد أن جعله أمير الرجّالة، وقد وصفه معاوية بأنه "فاعل الأفاعيل!" وأنّه "سيّد من سادات خُزاعة غير مدافع!"

وعلى ميسرته عبد الله بن العباس ... وأما قراء أهل الكوفة، أو أهل الكوفة، فصاروا إلى ابن بُديل وعمار بن ياسر .. أو هم توزعوا بين ثلاثة نفر: مع عمار بن ياسر، ومع قيس بن سعد، ومع عبد الله بن بُديل، والناس على راياتهم، وعليٌّ عليه السلام في القلب في أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة، وعُظم من معه من أهل المدينة الأنصار، ومعه من خزاعة عددٌ حسن، ومن كنانة وغيرهم من أهل المدينة ..

هذا وأنَّ عبد الله بن بديل قام في أصحابه، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال لهم: إنَّ معاوية ادعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليُدحض به الحقَّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزيَّن لهم الضلالة، وزرع في قلوبهم حبَّ الفتنة، ولبس عليهم الأمر، وزادهم رجساً إلى رجسهم، وأنتم والله على نور من ربِّكم وبرهان مبين. قاتلوا الطغام الجُفاة ولا تخشوهم. وكيف تخشونهم وفي أيديكم كتابٌ من ربِّكم ظاهر مبروز؟! ﴿**أَتَخْشَوْنَهُم فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**﴾.

وقد قاتلتهم مع النبيﷺ أو «وقد قاتلناهم مع النبيﷺ مرةً، وهذه ثانية.

والله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبرّ. قوموا إلى عدو الله وعدوكم، أو قوموا إلى عدوكم بارك الله عليكم!

استشهاده رضوان الله عليه:

عجيب أمر هذه الأسرة الكريمة، فقد منَّ الله تعالى عليها بوسام الشهادة حين كتب للإخوة الخمسة، فنافع استشهد في زمن رسول اللهﷺ يوم بئر معونة كما ذكرنا، فيما استشهد الأربعة عبد الرحمن ومحمد وعثمان وعبد الله بن بديل في صفين.

لقد كان عبد الله بن بُديل، وكأنه في شوق عظيم للشهادة، فما إن بدأت المعركة حتى ولجها بقوّة ويقين، وبيده سيفان وعليه درعان، يقول الخبر: كان عبد الله بن بُديل الخزاعي مع عليٍّ عليه السلام يومئذ، وعليه سيفان ودرعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدماً وهو يقول:

لم يبق إلاّ الصبر والتوكلْ
وأخذُك الترس وسيفاً مقصلْ
ثم التمشي في الرعيل الأوّلْ
مشي الجمال في حياض المنهلْ
والله يقضي ما يَشاَ ويفعلْ

فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية والذين بايعوه على الموت، فأمرهم أن يصمدوا لعبد الله بن بُديل، وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه، واختلط الناس واضطرم الفيلقان:

ميمنة أهل العراق، وميسرة أهل الشام.

وأقبل عبد الله بن بُديل يضرب الناس بسيفه قدماً حتى أزال معاوية عن موقفه، وجعل ينادي: يا لَثارات عثمان! ـ يعني أخاً كان له قد قتل ـ وظنَّ معاوية

وأصحابه أنه إنما يعني عثمان بن عفان، وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً، وأشفق على نفسه، وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه. ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها، حتى لم يبق مع ابن بُديل إلاّ نحو مائة إنسان من القراء، فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم، ولجّج ابن بُديل في الناس وصمَّم على قتل معاوية، وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتى انتهى إليه ...

فنادى معاوية بالناس: ويلكم! الصخر والحجارة إذا عجزتم عن السلاح. فأقبل أصحاب معاوية على عبد الله بن بُديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه وقتل الرجل!

قال أبو مخنف: حدثني فضيل بن خديج عن مولى للأشتر؛ أنه لما اجتمع إليه عُظم من كان انهزم عن الميمنة حرّضهم، ثم قال: عضّوا على النواجذ من الأضراس، واستقبلوا القوم بهامكم، وشدوا شدة قوم موتورين ثأراً بآبائهم وإخوانهم حناقاً على عدوهم، قد وطنوا على الموت أنفسهم؛ كيلا يسبقوا بوتر، ولا يلحقوا في الدنيا عاراً، وأيم الله، ما وتر قوم قط بشيء أشد عليهم من أن يوتروا دينهم، وإنَّ هؤلاء القوم لا يقاتلونكم إلاّ عن دينكم؛ ليميتوا السنة، ويحيوا البدعة، ويعيدوكم في ضلالة قد أخرجكم الله عزَّوجلَّ منها بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله أنفساً بدمائكم دون دينكم، فإنَّ ثوابكم على الله، والله عنده جنات النعيم، وإنَّ الفرار من الزحف فيه السلب للعز والغلبة على الفيء، وذل المحيا والممات، وعار الدنيا والآخرة! وحمل عليهم حتى كشفهم، فألحقهم بصفوف معاوية بين صلاة العصر والمغرب، وانتهى إلى عبدالله بن بديل، وهو في عصبة من القراء بين المائتين والثلاثمائة، وقد لصقوا بالأرض كأنهم جثا، فكشف عنهم أهل الشأم، فأبصروا إخوانهم قد دنوا منهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟

قالوا: حي صالح في الميسرة؛ يقاتل الناس أمامه.

فقالوا: الحمد لله قد كنا ظننا أن قد هلك وهلكتم!

وقال عبدالله بن بديل لأصحابه: استقدموا بنا، فأرسل الأشتر إليه ألاّ تفعل، أثبت مع الناس فقاتل، فإنه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك، فأبى فمضى كما هو نحو معاوية وحوله كأمثال الجبال وفي يده سيفان، وقد خرج فهو أمام أصحابه، فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله حتى قتل سبعة، ودنا من معاوية، فنهض إليه الناس من كلّ جانب، وأحيط به وبطائفة من أصحابه، فقاتل حتى قتل، وقتل ناس من أصحابه، ورجعت طائفة قد جرحوا منهزمين.

فبعث الأشتر بن جمهان الجعفي، فحمل على أهل الشأم الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل حتى نفسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتر، فقال لهم: ألم يكن رأيي لكم خيراً من رأيكم لأنفسكم؟! ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس؟!

وكان معاوية قال لابن بُديل وهو يضرب قدماً: أترونه كبش القوم؟!

فلما قتل أرسل إليه، فقال: انظروا من هو، فنظر إليه ناس من أهل الشأم، فقالوا: لا نعرفه. فأقبل إليه حتى وقف عليه، فقال: بلى هذا عبدالله بن بُديل! ثمَّ قال معاوية:

"والله لو استطاعت نساء خزاعة أن تقاتلنا فضلاً على رجالها لفعلت!"

مدوه فمدوه فقال: هذا والله كما قال الشاعر ...

أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عضَّها
وإن شمَّرت يوماً به الحربُ شمَّرا

وفي خبر: وأقبل إليه معاوية وعبد الله بن عامر حتى وقفا عليه. فأما عبد الله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحم عليه، وكان له من قبل أخاً وصديقاً!

فقال معاوية: اكشف عن وجهه.

فقال: لا والله، لا يُمثّل به وفيَّ روح.

فقال معاوية: اكشف عن وجهه، فإنا لا نُمثّل به، فقد وهبتُه لك!

فكشف ابن عامر عن وجهه.

فقال معاوية: هذا كبش القوم وربّ الكعبة، اللهم أظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي. والله ما مِثلُ هذا إلاّ كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عضَّها
وإن شمَّرت عن ساقها الحربُ شمَّرا
ويحمي ، إذا ما الموت كان لقاؤه
قِدَى الشِّبر ، يحمي الأنف أن يتأخرا
كليثٍ هِزبرٍ كان يحمي ذماره
رمته المنايا قصدَها فتقطَّرا

ثمَّ قال معاوية:

"مع أن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها فعلت!!"

وقد ذكره عدي بن حاتم حين راح يرتجز في وقعة صفين، قائلاً:

أبعد عمار وبعد هاشم وابن بُديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم
فاليوم لا نقرع سنَّ نادم ليس امرؤ من يومه بسالم

وحين جزع أهل الشام على قتلاهم جزعاً شديداً، قال معاوية:

"يا أهل الشام، ما جعلكم أحقَّ بالجزع على قتلاكم من أهل العراق على قتلاهم، فوالله ما ذو الكلاع فيكم بأعظم من عمار بن ياسر فيهم، ولا حوشب فيكم بأعظم من هاشم فيهم، وما عبيد الله بن عمر فيكم بأعظم من ابن بُديل فيهم، وما الرجال إلاّ أشباه، وما التمحيص إلاّ من عند الله. فأبشروا فإنّ الله قد قتل من القوم

ثلاثة، قتل عمار بن ياسر وهو كان فتاهم، وقتل هاشماً وكان جمرتهم، وقتل ابن بُديل وهو فاعل الأفاعيل! ...

وفي خبر أنَّ معاوية مرَّ في خواص من أصحابه في الموضع الذي كانت ميمنته فيه، فنظر إلى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي معَفّراً بدمائه، وقد كان على ميسرة عليٍّ عليه السلام، فحمل على ميمنة معاوية فأصيب على ما قدمتا آنفاً، فأراد معاوية أن يمثّل به، فقال له عبد الله بن عامر وكان صديقاً لابن بديل: والله لا تركتك وإياه، فوهبه له، فغطاه بعمامته وحمله فواراه.

فقال له معاوية: قد والله واريت كبشاً من كباش القوم وسيداً من سادات خزاعة غير مدافع، والله لو ظفرت بنا خزاعة لأكلونا، ولو أنا من جَنْدَل، دون هذا الكبش، وأنشأ يقول متمثلاً أخو الحرب إن عضَّت به الحرب عضَّها...

في أرض صفين، والقتال مازال محتدماً، مرَّ الأسود بن طهمان الخُزاعي بعبد الله بن بُديل في رمقه الأخير، فقال له: عزَّ عليَّ والله مصرعك! أما والله لو شهدتك لآسيتُك، ولدافعتُ عنك، ولو رأيتُ الذي أشعرك لأحببتُ أن لا أزايله، ولا يزايلني حتى أقتله، أو يلحقني بك!

ثم نزل إليه، فقال: رحمك الله يا عبد الله، والله إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنتَ لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله! قال له عبد الله بن بُديل: «أُوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين، وتقاتل معه حتى يظهر الحقُّ أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عنّي السلام، ثمَّ لم يلبث أن مات!

فأقبل الرجل أو أبو الأسود إلى عليٍّ عليه السلام، فأخبره بشهادته!

فقال عليه السلام: «رحمه الله، جاهد معنا عدوّنا في الحياة، ونصح لنا في

الوفاة».[١]

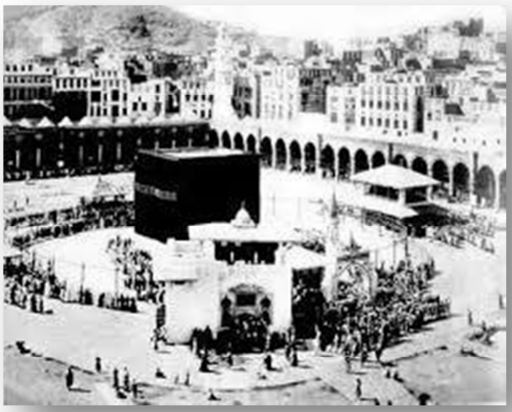

قالوا فيه:

وقول سليم (سليمان) بن صرد الخزاعي يوم صفين:

يالك يوماً كاسفاً عصبصبا

يالـك يوماً لا يواري كوكبا

---

١. انظر وقعة صفين : ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٣، ٤٠٣ ـ ٤٥٥ ؛ تـاريخ الطـبري ٣ : ٨٨-٨٩ أحـداث سنة ٣٧؛ شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ٨ : ٩٢-٩٣ .

يا أيها الحي الذي تـــــذبذبا
لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا
لأنّ فينا بطـــــلاً مجـــــربـا
ابن بـــديل كالهزبر مغضبا
أمـــــسى علي عندنا محببا نفـــــديه بالأم ولا نبقي أبا

وقول الشني في أبيات له:

فـــإن يك أهل الشام أودوا بهاشم
وأودوا بعـــــمار وأبقوا لنا ثـــكلا
وبـــــابني بديل فـــارسي كل بهمة
وغيث خزاعي به ندفع المحلا.[١]

أما علماء الرجال، فقد ذكروا أنّه أسلم مع أبيه يـوم الفـتح أو قبلـه، وكانـا سيّدي خزاعة، وعيبة النبيﷺ .. وكان رفيع القدر ورفيع الشأن..

وكان عبد الله بن بُديل رسول النبيﷺ إلى اليمن، وفي قول كان هو وأخواه عبد الرحمن ومحمد رسل النبيﷺ إلى اليمن؛ ليُفقهوا أهلها ويُعلموهم الدين، وأنهم من أصحاب الإمام عليٍّ عليه السلام، وأنَّ عبد الله من أصفياء أمـير المـؤمنينعليه السلام وخلّص أصحابه، حتى أنه بالذات كان من الصحابة الذين قاموا وشهدوا على أنّهـم سمعوا رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خُم: «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه»؛ وبعد قتـل عثمان كان من المجمعين على خلافة عليٍّ وإمامته، وكان من قادته في حربي الجمـل وصفين ضدَّ البغاة، وأنه وإخوته قتلوا في صفين.

---

١. وقعة صفين، لنصر بن مزاحم المنقـري (ت ٢١٢ هــ) الصـفحات : ١٠٢، ١١١، ٢٠٥، ٢٠٨؛ تاريخ الطبري، سنة ٣٧. البهمة بالضم: الجيش. المحل: الخديعة والكيد، الشدة، الجدب.

وذكر الذهبي: عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، فمن أبناء الصحابة قتل بصفين مع علي رضي الله عنه.[١]

وهكذا ختم هذا الصحابي الجليل، والمقاتل الواعي الرشيد حياته بوسام الشهادة بسيف القاسطين؛ معاوية وجنده، بعد أن قضى حياته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله عاملاً مجاهداً؛ وبين يدي إمامه أميرالمؤمنين عليٍّ عليه السلام موالياً، ومقاتلاً فشهيداً على تراب صفين، ودفيناً فيه، رضوان الله عليه!

١. خلاصة ما جاء عنهم في رجال الكشي، للشيخ الطوسي١: ٢٨٦؛ وفي معجم الرجال للسيد الخوئي١١،١٠: رقم ٦٣٦١،٦٧٣٢؛ وكتاب الجمل، للشيخ المفيد: ٥٢؛ ورجال ابن داوود، لتقي الدين الحلي: ١١٧؛ الدرجات الرفيعة، للسيد علي خان: ٤١٩ وغيرها؛ ميزان الاعتدال: ٤٢٢١.